

خطاب صاحب الجلالة بمناسبة عيد الشباب

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

شعبي العزيز

سأفتتح كلمتي هاته بما قاله الشاعر، (هنيئا لك العيد الذي انت عيده)، نعم شعبي العزيز، ان عيد الشباب هو عيد المغرب، وعيد الشباب هو العيد والمناسبة.. المناسبة التي تمكننا خلال تاريخنا المجيد وخلال القرون البيضاء الغراء التى عرفها ماضينا ان نرجع بالذاكرة والآثار والمكاتب والمبني والمشيد الى سالف عصرنا وإلى أساس دولتنا وأمتنا، كما ان هذا العيد يتيح لنا الفرصة لأن نشرئب نحو المستقبل وأن نطل على الغد وان نطمح في المستقبل.

فعيد المغرب اذن كل سنة منذ ابتداء وجود المغرب كدولة هو عيد شبابه، وعيد المستقبل لأن المغرب هو قبل كل شيء رضيع لماضيه وسيبني مستقبله.

وإذا نحن تصفحنا صفحات التاريخ نجد انه قلما حبا الله سبحانه وتعالى شعوبا أو أمما بهذه النعمة المتجددة، نعمة العيش بين ماض وحاضر ومستقبل في آن واحد وان نرى ان حاضرنا جدير بماضينا ونؤكد العزم ليبقى مستقبلنا جديرا بحاضرنا.

وهذه شعبي العزيز سلسلة تاريخية بالطبع عرفت نبوات وكبوات، وعاشت ظلمات وأزمات، ولكن لم تكن تلك الاحداث الا أحداث سير، ولم تؤثر نهائيا على عقليتنا ولا على مجتمعنا ولا على العش، وحينما أقول العش أو الوكر أعني به ذلك البناء الذي بنيناه مثلما تبنيه الطيور ورقة فورقة، وجيلا بعد جيل، وحقبة بعد حقبة، بنيناه لنا لا لغيرنا، وبنيناه لأخلاقنا ولعاداتنا ولسلالتنا الاسروية ولديننا المتعمق ولروحنا **ولوطنيتنا الخاصة بنا،** بنا، ومن هنا نرى ان الامتيازات التي أعطاها الله سبحانه وتعالى لهذا البلد هي امتيازات وخصائص كثيرة وكثيرة لا يمكن لأي من المؤرخين كيفما كانت عبقريته وكيفما كان ادراكه للتاريخ ان يضعها واحدة تلو الأخرى دون ان ينسى شيئا، ذلك لأن عطاء الله سبحانه وتعالى ماكان عطاء محظورا بل عطاؤه سبحانه وتعالى هو عطاء يتغير ويزيد وينقص، ثم يزيد ثم يتغير، وكلما جاء العطاء جاء في ابان ما وفي ظرف ما وبنوعية ما.

وحينما قلت لك شعبي العزيز هنيئا بالعيد الذي أنت عيده أردت ان أجعل من هذا الشطر مقدمة لكلمتي التي وان كانت ستحتوي على معاني كثيرة وغزيرة سأحاول ان لا أطيل عليك بها.

في الاسابيع الماضية ترأست شعبي العزيز مجلسا وزاريا وقد نشر بلاغ عما صار في ذلك المجلس، ولكن مازلت اعتقد ان لا شيء أحسن وأنجع وأفيد من الحوار المباشر، وقلت باختصار في ذلك المجلس ان سنة 1988 هي سنة ستمكن المغرب من ان يجدد شبابه وان يهنيء نفسه بعيد شبابه بهذا العيد الذي هو عيده، لأن حكمتك شعبي العزيز وصبرك ومصابرتك وثقتك الغالية التي وضعتها في منذ أن تقلدت أمورك مكنتنا من أن نطل اليوم وبارتياح على غد باسم هذا الغد خطير جدا



ففي ظرف ستة أشهر شعبي العزيز تمكنا من أن نحقق ثلاثة أهداف :

ــ الهدف الأول : هو هدف سيادة

ــ الهدف الثاني : هو هدف أمن واطمئنان

ــ والهدف الثالث : هدف الآباء والاجداد

فبخصوص هدف السيادة تمكنا من أن نضبط أحسن من ذي قبل شؤوننا المالية والاقتصادية، فأصبحنا بذلك قادرين على تسطير الخطة الانمائية دون ان يكون لأي احد حق التدخل في اختياراتنا، ذلك اننا ولله الحمد خرجنا من النفق وأصبحنا نرى النور.

وما تحقق هذا إلا بشيئين هما النظام والانتظام، فيجب علينا إذن أن نكون في المستقبل أكثر نظاما وانتظاما، اذا نحن أردنا ان نكون أكثر حرية في اختياراتنا واختيارات أسبقياتنا.

وفي العالم الذي نعيش فيه نظرا لارتباط الاقتصادات بالاقتصادات والماليات بالماليات والحاجيات بالحاجيات من الصعب جدا على كل دولة يمكنها ان تقول بأن اختياري هذا هو بمحض ارادتي، ولا أريد ان نقع في فخ العجرفة والكبرياء أبدا، علينا ان ننظر ونحلل ونلاحظ اننا أكثر حرية مما كنا عليه في الماضي، وهذه الملاحظة وهذا التحليل يكفيان وحدهما لأن نحمد الله سبحانه وتعالى ونشكره، ولكن علينا ان نعلم ان الدواء الذي أخرجنا من مدة السقم هو النظام، وذلك النظام هو الذي سيمكننا من أن نصل الى طور العنفوان والقوة وصحة العضلات اقتصاديا وماليا، فعلينا اذن أن نكون منتظمين ومنظمين، وعلينا كذلك ان نكون متواضعين شاكرين لله سبحانه وتعالى أفضاله ونعماءه.

الهدف الثاني اننا حققنا الطمأنينة والاطمئنان، وانك شعبي العزيز تذكر انني أكرر كلما دعت الضرورة والظروف الى ذلك هذا الحديث النبوي الشريف الذي قال فيه النبي صلى الله عليه وسلم : (مازال جبريل يوصيني بالجار حتى ظننت أنه سيورثه).

فكم تألمنا شعبي العزيز انت وانا على ما قاسينا : جارنا ونحن، ولا أقول نحن وحدنا ولا جارنا وحده من مشاكل ومتاعب الخصام والقطيعة.

وانك لتقدر مثلما يقدر جارنا الشقيق ما ضيعناه من وقت، الشيء الذي يجعلكما انت شعبي العزيز والشعب جارك الشقيق تلمسان أولا الوقت الذي ضيعناه، وثانيا ما يجب علينا استدراكه وأخيرا ما يجب علينا تشييده وبناؤه.

اننا ولله الحمد بمناسبة زيارتنا للقطر الجار الجزائر لقينا هناك حفاوة على جميع المستويات، فلم تكن حفاوة الرئيس ابن جديد حفاوة خاصة به، بل ولله الحمد كان الرئيس مرآة كما يجب ان يكون القادة في العالم مرايا لشعوبهم، كان احتفاء الرئيس وحكومته بي ــ بخديم المغرب طبعا ــ مرآة لما أحسست به من دفء وحرارة وشوق ولواعج للماضي، وقد أحسست بهذه العواطف كلها وادركتها لأنني حتى أنا نفسي كنت أمثلك شعبي العزيز، أمثل لواعجك وحنينك إلى الماضي وطموحك في المستقبل ليرجع العناق عناقا والائتلاف ائتلافا.

إذاً تحقق الهدف الثاني ولله الحمد في الستة أشهر الأولى من هذه السنة السعيدة.

الحدث الثالث له وجهان : وجه عمودي ووجه أفقي، الوجه العمودي دون أن أطيل عليك هو أن المغرب ولله الحمد بجديته وبالذكاء الذي فسر به مشاكله ومطالبه وبعزمه الذي لم يكن ليقرأ فقط في رسالاته بل في مؤسساته المحلية والعامة، كل هذا جعل أن طلبنا الانضمام للسوق الأوربية المشتركة وإن لم يتحقق شكليا ونهائيا فقد أصبحت له معالم تدل على أن المستقبل بسام ويدعو الى التفاؤل جدا.

إننا تمكنا من إعطاء صورة خاصة عن بلدنا، وأن نظهر للأوربيين أن المغاربة ليسوا أجانب عن الأوربيين.

بل كانت أيام ويمكن أن أقول قرونا كان المغاربة بدورهم قبل اليوم يفتحون المدارس ويدرسون فيها الأوربيين والمستشفيات ويداوون فيها الأوربيين، وحينما خرج المغاربة من أوربا لم يتركوا أنقاضا ولم يتركوا جدارا يبكي ولا أرامل تحكي، بل تركوا حضارة ومعالم وأكبر معالم الحضارة هي حضارة النماء والري.

فإذا التقى المغرب اليوم بأوربا فيجب علينا أن لا يكون في أنفسنا مركب نقص ولا مركب قوة، فالمغرب مؤهل دون غرور بما له من ماض وبما يطمح إليه من مستقبل وبما يفعله في الحاضر أن يكون ملتزما وأن يكون شريكا ملتزما ومحترما في مجموعة كالمجموعة الأروبية، ولا سيما أنه في الوقت الذي ربطنا الخيوط الرئيسية الأولى عموديا جاءت ولله الحمد أفقيا القمة المغربية الكبرى في عاصمة الجزائر ضمت كلا من ليبيا وتونس والجزائر والمغرب وموريتانيا.

وكم كنا نأمل ونرجو أن نعيش تلك اللحظات وأن تعيشها شعوبنا بالوسائل المسموعة والمرئية، وقد حقق الله سبحانه وتعالى آمالنا كلنا، آمال الشعوب، وآمال القادة، وربما جعلتنا نحن القادة تلك الوسائل المسموعة والمرئية ننظر بعين الاعتبار إلى جسامة الموقف وخطورة المصافحات.

فأدركنا، وأقول أدركنا جميعا، ولا يمكنني أن أتصور غير ذلك، أن العناقات والمصافحات والقبلات جعلت منا نحن القادة أسارى المستقبل المشترك، وأسارى التفكير المشترك، وأسارى الشدة والرخاء المشتركين.

وما أحلاها شعبي العزيز من تخمينات وتفكير وأحلام حينما يقعد كل واحد منا أمام خريطة المغرب العربي الكبير، وحينما يراها ويحللها ويتصورها من غربها الى شرقها ومن شمالها الى جنوبها، وحينما يطل على جنوبها فيرى افريقيا السوداء الشقيقة، وحينما يشرئب الى شمالها فيرى البحر الأبيض المتوسط وضفافه الشمالية، ما أحلى هذه الرؤية، وما أحلى هذا المنظر وما أجمله، وما أثمنه وما أخطره.

هذه شعبي العزيز هي العوامل التي حاولت أن أوجز تعدادها، ولست في حاجة إلى القول إن المغرب يجب أن يكون في مستوى مسؤولياته وفي مستوى رغباته ومطامحه وأحلامه.

إن سنة 1988 سوف تكون إن شاء الله بالنسبة لنا وبالنسبة لقطرنا المغربي الكبير سنة خير وسنة إنطلاق الخير وسنة بناء الخير وسنة سن الخير.

والله أسأل ألا يحرمنا من أن نرى ذلك الخير ونعيشه ونلمسه جميعا من ليبيين وتونسيين وجزائريين ومغاربة وموريتانيين دون تفاوت، ولكن ككل مجتمعين حول ورش واحد لا ميزة لأحد على الآخر إلا بالابتكار والجدية.

ولكن شعبي العزيز لنرجع الى ما كنا بصدده وهو عيد الشباب وعيد الطموح وعيد البقاء، ومعلوم



أن البقاء لله، ولكن أريد أن يبقى المغرب أكثر ما يمكن في بقائه، فإذا استعملنا الحروف الكبرى والصغرى فإن بقاء المغرب سيكتب بالحروف الصغرى والبقاء الكبير لك سيكتب بالحروف الكبرى.

إذن من حقنا ومن واجبنا أن ندعو الله بالبقاء ولا ننسى أن النبي صلى الله عليه وسلم كما قلت لك يقول (إن الله يحب العبد الملحاح).

فمن جملة الأسباب التي جعلت المغرب باقيا وسيبقى هو ،كما قلت لك شعبي العزيز، أنه بحث عن الكيفية الهندسية والروحية والفلسفية كيف يبني بها وكره وعشه ويحيط نفسه بدرع من حديد، ويجعل ذلك الدرع الذي يحفظه مطأطاً يسمح له بأن ينفتح على الخارج، وأن يمد رأسه شمالا فيعانق أوربا، وجنوبا فيعانق افريقيا، وشرقا فيعانق أشقاءه العرب وغير العرب.

فالحقيقة هي أن بيتنا بيت صلب من حديد وفي نفس الوقت جعله الله مطاطا ولا يسجننا ولا ينقص من حريتنا وانفتاحنا.

ومن أسرار هذه الخاصية الالهية الربانية هي أننا بقينا دائما متشبثين بدين الله سبحانه وتعالى، وهو الاسلام الذي له الكتاب كأساس وكأصل وله السنة كتطبيق وتفسير وله الجماعة كحصن وتحصين.

وتشبثنا بالله سبحانه وتعالى هو ما جعلنا ننتصر في جميع معاركنا ويواكبنا النجاح بل يقتبلنا النجاح، فدائما يصادفنا النجاح في الطريق ونتقاسم معه الطريق ولله الحمد وبكل تواضع، فإن هذا التعلق بالله وبسنة رسوله هو الذي مكننا من أن نعيش من أن نكون مغاربة بكل اختصار.

والآن ولو أنه لا يوجد في ديننا كرسي للاعتراف من اللازم بيني وبين سكان الدار البيضاء الأعزاء أن أجلس أمامهم على كرسي الاعتراف، ففي يوم وفاة والدنا سيدنا محمد الخامس طيب الله ثراه كنت قررت أن أبني ضريحه المنور في مدينة الدار البيضاء إلا أنه بعد أسابيع ارتأيت أننا إذا دفنا سيدنا رحمه الله في الدار البيضاء فسيستغرب شيئا ما علي وعلى إخوتي نظرا لبعد المزار، كما أن عدة رؤساء دول سيضطرون الى مغادرة الرباط والتوجه الى الدار البيضاء لزيارة الضريح، إنني أعترف أمام البيضاويين وأنتظر منهم على كل حال الشيء المنتظر منهم.

ولكن منذ ذلك اليوم الذي قررت بناء الضريح بالرباط قررت كذلك أن أعوضهم بشيء آخر، وفكرت في بناء مسجد هو الآن في طور البناء على شاطىء البحر، وسيجعل من الدار البيضاء مدينة فريدة من نوعها حيث ان هذا المسجد سيكون فريدا من نوعه، أردت أن أبني هذا المسجد على الماء (وكان عرشه على الماء) كما أردت أن يكون المصلي فيه والداعي والذاكر والشاكر والراكع والساجد محمولا على الأرض ولكن أينما نظر يجد سماء ربه وبحر ربه.

سيكون هذا المسجد من أكبر مساجد العالم الاسلامي، وسيسع عشرين ألف مصل بالداخل، وفي الصحن الخارجي يمكن أن يصل الى حوالي 80 ألف، كان في الامكان أن يبنى هذا المسجد وترصد له ميزانية ويتم التخطيط له على سنين وسنين، ولكنني شعبي العزيز قرأت في الصحيحين : أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة).

ومن هنا أتتني الفكرة أن يبنى مسجد الدار البيضاء باكتتاب من جميع المغاربة حتى يكون لهم فيه الفضل

ولو بدرهم واحد.

وهذه الورقة فيها تصميم للمسجد كتب في أعلاها « وكان عرشه على الماء » وفي أسفلها الحديث النبوي الشريف (من بنى مسجدا يذكر فيه اسم الله بنى الله له بيتا في الجنة).

وإذا نحن إن شاء الله أتممنا هذا المسجد وسنتم إنجازه بحول الله فستكون لي فرصة ومناسبة لارضاء سكان الدار البيضاء حتى لا يغضبوا من كوني حرمتهم من ضريح محمد الخامس، وأعتقد أن مسجدا يذكر فيه اسم الله من أكبر المساجد في العالم الاسلامي يعتبر كذلك جوهرة جديرة بأن يعطيها سكان الدار البيضاء والمغاربة جميعهم الأهمية والقيمة اللائقتين بها.

وقد قررنا أن نفتتح إبتداء من الأيام المقبلة اكتتابات في جميع أنحاء المغرب، وأقول لكم شعبي العزيز ان هذا الاكتتاب ليس فيه أي إرهاق، فالحديث النبوي واضح فمن أعطى ولو درهما واحدا يمكنه الاحتفاظ بهذه الورقة في بيته ليربي أبناءه وأسرته بواسطتها على التشبث بحبل الله والاسهام في بناء مساجد يذكر فيها اسم الله.

لي اليقين شعبي العزيز أنك ستسارع الى عمل مثل هذا، وأن هذا المسجد سيضاهي عدة مساجد ما عدا المسجد الحرام والمسجد النبوي، ولكن بإستثناء هذين المسجدين لا أظن أنه سيوجد في العالم الاسلامي مسجد مثل هذا.

فأملي شعبي العزيز أن تساهموا في بناء هذا المسجد ولو بدرهم واحد لكل واحد، وحتى من ساهم بدرهم فقط لكونه غير ميسور يمكنه أن يسأل الفقيه الذي هو بجواره ليبين له أن كونه ساهم بهذا المبلغ البسيط كأنه بنى المسجد وكأن ثواب بناء المسجد راجع إليه.

فأملي فيكم أيها المغاربة المسلمون الغيورون على دينهم المعتزون بتاريخهم وحضارتهم أن تساهموا في بناء هذا المسجد، لأنه سيكون إن شاء الله في القرون القادمة عنوانا آخر يضاف الى عناوين أخرى تعطي الدلالة القاطعة على أن حضارتنا كما قلت لكم حضارة لا يعرف لها أول ولا آخر، فهي شابة تنطلق في كل وقت وحين ومن كل مكان، ولكن إنطلاقتها وسلامتها لا يمكن ضمانها إلا بإتكائها على قدمها، وهنا أقول لك شعبي العزيز : ان عيد الشباب سيبقى عيدك كل سنة حتى في القرون المقبلة، لهذا بدأت كلامي بـ (هنيئا لك العيد الذي أنت عيده)، ولفظة أنت ليست للحال وليست للمستقبل بل أعتبرها من الناحية النحوية وفلسفة النحو تعني أن حالتك الدائمة أن تفنى الأرضى وتبقى أنت شابا.

والله سبحانه أسأل أن يثيب خطانا ويعيننا، لأني حينما قلت لك : ان المغرب مقبل على أعمال مهمة لم أخف عنك جسامة الأهداف والخطوات التي تتطلب منا التتبع والسهر والجد والوفاء بالكلمة والوفاء بالالتزام.

هذه كلها خصال لها ثقل كبير على أعناقنا، فلا شيء يعيننا على حمل هذه الالتزامات إلا قوة الله سبحانه وتعالى وتوفيقه وإلهامه وإرشاده، إنه سبحانه وتعالى لم يخيب لنا أملا ولم يردنا خائبين في جميع أحوالنا، والمظنون فيه سبحانه وتعالى أن يزيدنا من إلهامه ومن تسديده وإرشاده، وأن يثبت أقدامنا ويطهر قلوبنا ويعيننا دوما على العمل، لأن يبقى مغربنا أصيلا وشابا معا كل سنة وكل عام، والسلام عليكم ورحمة الله.

الجمعة 23 ذي القعدة 1408 — 8 يوليوز 1988